لا تكوني مثلها

عبداللطيف بن هاجس الغامدي

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار القاسم للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الغامدي، عبداللطيف هاجس

لا تكوني مثلها .- الرياض.

٣٢ ص، ١٢ × ١٧ سم.

ردمك ٨ - ٣٣٨ - ٣٢ - ٩٩٦٠

١ - المرأة في الإسلام ٢ - الأخلاق الإسلامية

أ - العنوان

ديوي ٢١٩.١ ٢١ / ١٣٥٥

رقم الايداع: ١٣٥٥ / ٢١

ردمك: ٨ - ٣٣٨ - ٣٢ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الصف والمراجعة والإخراج بدار القاسم

دار القاسم الرياض، ١١٤٤٢، ص. ب. ٦٣٧٣

هاتف: ٤٧٧٥٣١١ (٤ خطوط)، فاكس: ٤٧٧٤٤٣٢

• البريد الإلكتروني: sales @ dar-alqassem.com

• موقعنا على الإنترنت: www.dar-alqassem.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الزوجين الزكر والأنثى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى والرسول المجتبى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

* أختـاه!

يا صاحبة الهمَّة العالية، والعزيمة المتوقدة..
يا من تعيشين لغاية، وتحيين لهدف..
يا من استشعرت لماذا وجدت في هذه الحياة..

إليك هذه الرسالة ممن يحب لك الخير وأسبابه، ويخشى عليك من الشرِّ وأربابه.. نفعك الله بها، وشرح صدرك لقبولها..

أختاه! لا تكوني مثلها!

فإنها امرأة تعيش سبهللا في تيه وفراغ، وغفلة وضياع.

فهي مشغولة بغير مُهمَّة، متحركة في غير نفع، مهمومة بالتوافه، مشغولة بالمحقرات.. همَّتها باردة، وعزيمتها خائرة، ترضى من العظائم بأقلِّها، ومن المكارم بأدناها.

غدت الدنيا أكبر همِّها، ومبلغ علمها، ومنتهى أحلامها، وغاية رغبتها، ونسيت أنها عرضٌ زائل، ومتاعٌ راحل، وأمنية منقطعة.

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [النساء: ٧٧].

ترتكب المحرمات.. ولا تحزن!
تُحرم من الحسنات.. ولا تأسف!

يقسوا قلبها، وتجف عينها، ولا تشعر!
وإنما جعلت النار الحامية لإذابة القلوب القاسية!
ولكن.. من يتذكَّر؟!
من يتأمل.. من يتدبَّر؟!
قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزمر: ٢٢].

لم تحزن يوماً على ما أمامها من هول المطلع في يوم المفزع، ولا على ما بين يديها من كرباتٍ جسيمة ومصاعب عظيمة لا يعلم مداها ولا منتهاها إلاَّ خالقها ومولاها.

لم ترهب يومَ وقوفها بين يدي ربها، يوم الرجوع إليه، والعرض عليه، والوقوف بين يديه.

تبكي على فوات شيء من الدنيا، ولا تبكي على ذهاب الدين!
قال تعالى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [الأعلى: ١٦-١٧].

* مهتمَّة ـ غاية الاهتمام بجسدها: ماذا تغذيه؟ وماذا

تلبسه؟ وأين تسكنه؟ وكيف تنعمه؟
وما السبيل إلى تجميله وتحسينه؟
ليس لها همٌّ غيره! ولا شغلٌ سواه!

يا خادم الجسم كم تسعى لراحته
أتعبت نفسك فيما فيه خسران
أقبل على النفس فاستكمل فضائلها
فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

* لو أعطبَ الخياط فستانها، لبكت ثم بكت، وملئت الدنيا بكاءً وعويلاً، حتى يكاد قلبها يتفطَّر كمداً ونكداً.
يا للعجب!

لم تبكِ يوماً من ذنوبها، وتفريطها في جنب ربِّها، ولم تحزن على تضييعها لفرائض الله، وانتهاكها لمحارمه.

وعلى هذا فلتسكب العبرات ولتمسح الدموع!

* همُّها الأكبر وحرصها الأكثر أن تكون أجمل وأكمل من صويحباتها، وأن تلبس أحلى وأغلى منهنَّ.. تتباهى بذلك عليهنَّ..

ويحُها! أما علمت أنه «لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال ذرَّة من كبر»[١].

أما سمعت قول الحبيب ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم»[٢].

اهتمَّت بظاهرها، وغفلت عن باطنها، وتلك بليّة البلايا!

إذا أخو الحسنِ أضحى فعله سَمجاً
رأيتَ صُورتَهُ من أقبح الصُّورِ
وهَبهُ كالشَّمسِ في حُسنٍ ألم ترنا
نفِرُّ منها إذا مالت إلى الضرر؟[٣]

* لو ظهرت في وجهها بثرةٌ أو حبَّةٌ لملئ قلبها همّاً وغمّاً، وحزناً وألماً..

---

(١) صحيح مسلم (١/٨٩)(٩١) عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه.
(٢) صحيح مسلم (٤/١٨٠٠)(٢٩٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) ابن لنكك.

وغدت لا يهنأُ لها عيش، ولا تطيب لها حياة حتى تزول عنها وتتشافى منها، ولربما بذلت الأموال الطائلة، وأضاعت الأوقات الغالية لزوالها عنها، والسلامة منها.

وربما ـ في غفلة منها ـ قلبها مريض بالأمراض القلبية المعطبة كالنفاق وحب الشهوات وتعلق القلب بغير الرَّب، والحسد والحقد والكبر والتعالي..

لا تُحسُّ بها، ولا تشعر بوجودها، ولا تخاف منها، ولا تخشى عاقبتها، ولا تسعى في تحصيل العافية منها والسلامة من عقوبتها!

وكأنما أمنت مكر الله وعقوبته، وضمنت عفوه ومغفرته!

قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ [النحل: ٤٥-٤٧].

فتبّاً للغفلة ما أشنعها! وللقسوة ما أبشعها!

* تقوم قائمتها ولا تهدأ، وتهيج عاصفتها ولا تسكن إذا كُسرت زُجاجةٌ ملونة أو زينةٌ مزخرفة مما تزين به الجدران والحيطان والأركان.

ولا تثور لها ثائرة عندما يُنتقص دين الله عندها أو ترتكب معصية لله تعالى بحضرتها.

وكأنما دينها آخر اهتماماتها وأقل مسئولياتها!

وإنما يكون قدرها بمقدار ما تحمل من دينها..

* تُعرض عنها رفيقة دربها وصديقة عمرها، فتذوب ألماً وتذوي ندماً، لفراق من تحب، وهجران من تهوى..

تتشفَّع عندها بمن تثق، وتبعث لها بما تحب، وترسل لها رسائل اللوعة والحرقة.. تتملَّقُها، وتتعرَّض لها، حتَّى يرقَ طبعها، ويحن قلبها، فتعود إليها، وتقبل عليها..

وأين هي عن الله؟!

كم تفرِّط في أمره وتتجرأ عليه!

كم تحاربه بالمعاصي وتتبغَّض إليه بالسيئات!

كم تنتهك حدوده، وتضيع فرائضه، وترتع في حماه!

ثم لا تتملَّقه، ولا تتعرَّض لرحمته، ولا تتزلَّف إليه بمحابِّه، ولا تتقرَّب إليه بامتثال أمره واجتناب نهيه..

يـا حسرة على العـاصين يـوم معـادهـم
لـــو أنهـــم سبقـــوا إلى الجنـــات
لـــو لم يكـــن إلاَّ الحيـــاء مـــن الـــذي
ستر العيـــوب لأكثـــروا الحسرات

ما لها تربت يمينها؟!

أفي غُنية هي عن الله؟! أم أنها لا يُهمها رضاه؟!

سبحان الله! ما أحلم الله على من عصاه!

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

* تزين وجهها بالأصباغ، وشعرها بالألوان، وجلدها بالأدهان..

مـا فكَّـرت في يـومٍ مـن الأيـام أن تـزيـن هيئتهـا الحسنـة بالأخلاق الطيبة . .

أو تزين عملها الواجب بالسنن المستحبّة أو تزين آخرتها بالأعمال الصالحة كما زينت دنياها بكل زينة . .

أشغلها المتاع الزائل في الدنيا الدنيئة عن النعيم المقيم والخير العميم في جنات النعيم . .

وستعلم فداحة الخسارة، عندما ترجو الرجوع ثانية للحياة الفانية بعد أن أضاعت فرصة العمل لطول الأمل فداهمها الأجل .

لا تـــركنـــنَّ إلى الـــدنيـــا ومـــا فيهـــا
فـــالمـــوت لا شـــكَّ يفنينـــا ويفنيهـــا
أمـــوالنـــا لـــذوي الميراث نجمعهـــا
ودورنـــا لخـــراب الـــدهـــر نبنيهـــا
فـا عمـل لـدار غـداً رضـوان خـازنهـا
الجـــار أحمـــد والـــرحمـــن بـــانيهـــا

* تشتري الثوبَ بأغلى سعر وأعلى قيمة . . لعلَّ سعر المتر

الواحد فيه يكفي أسرةً كاملة لمدَّة طويلة.. تلبسه ثُمَّ تلقيه..

لأنها تستحي أن تخرج به أمام النِّساء وقد رأينه عليها..

تلاحق ـ في لهث وسعار ـ آخر الموضات والصراعات.. وأحدث ما أنتجته بيوت الأزياء.. مهما تكلَّفت من مال وضيَّعت من وقت وبذلت من جهد..

* تغير أثاث بيتها في كلِّ مناسبة وعند كلِّ حدث، ومع بداية كل عام.. لا تُبالي بما تبذل فيه وما تنفق عليه..

وتبدل حليها مع كلِّ موضة جديدة.. تلاحق فيه كلَّ ناعق..

فإذا ما دُعيت لتنفق في سبيل الله، لفقراء معوزين، أو أيتام محتاجين، أو للدعوة إلى الله تعالى في سبيل نشر هذا الدين، تولت معرضة، ونأت بجانبها، وكأن الأمر لا يعنيها، ولا يمتُ بصلة إليها.. تختلق المعاذير، وتتحجج بالحاجة، وتبخل: ﴿ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ

ﭐلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨].

الله يعطيها ويغنيها، وهي تجمعه وتمنعه، تعدده وتوصده، تنكره وتجحده، فلا تنفقه إلا على شهواتها وتحصيل ملذاتها

* وهكذا همتها في الثرى، لم ترتقِ يوماً إلى الثريَّا. .

فلا تسأليها عن حال الأمة وما أصابها من غُمَّة؟

ولا تستعلميها عن جراح المسلمين في المشارق والمغارب؟ وقد غدت حماً مستباحاً، وفريسة سهلة، ودماً رخيصاً، وكرامة مهدرة؟

ولا تستخبريها عن أحوال الفقراء والمساكين، واليتامى والمحتاجين، وذوي الفاقة فيهم وأصحاب الخصاصة منهم. . فأولئك ليسوا لها على بال. .

لا تدري عنهم، ولا تشعر بمعاناتهم، ولا تتألم لما أَلَمَّ بهم!

«ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».

ولا تسأليها عن أعمال الخير، والمشاركة في تنفيس كربات المكروبين ونكبات المنكوبين، فلا وقت لديها

تضيعه! ولا مال عندها تهدره في هذه المسائل التي لاتمتُّ بصلة لها، ولا تساوي وزن الخردلة في ميزانها . .

فيا ويلها يوم تخف كفَّة العمل عندما ينصب ميزان القسط والعدل في يوم الجزاء والدين!

قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

* ولو قرأت لكِ شيئاً قليلاً من القرآن، لتمنيت سكوتها من سوء ما تفعل، وقبح ما تجهل من كتاب الله تعالى . . .

منعها الكبر، وقنعت بالجهل، ورضيت بالإساءة، واستصعبت طريق تعلمه وهو سهلٌ يسير . . قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر: ١٧] .

استحت أن تتعلَّم القرآن، وعدَّت تعلمه نقيصة ومثلبة، ورضيت أن تكون به جاهلة، وما علمت أنه سبيل التربية وطريق التزكية!

عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله

ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[1]

لقد غدا كتاب الله تعالى عندها نسياً منسياً، واتخذته وراءها ظهرياً، فلا تقرأه إلاَّ فيما ندر، ولا تتصفحه إلاَّ فيما قلَّ. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٠].

استبدلت كتاب الله تعالى بالمجلاَّت الخليعة ذات الفكر المنحرف والمنهج المختلف! تقرأ الجرائد قليلة الفوائد! تتصفَّح مجلات الفن والغناء، والموضة والأزياء، وربما تهتم بالإصدارات الرياضية! وتتابع أخبار الفن والطرب والمسلسلات والأفلام، وتقرأ قصص الغرام والهيام، وغير ذلك من الآفات والمهلكات..

ثم لا يحن لها قلب لتقرأ من كلام الربِّ!
ولا تذوب لها حشاشة شوقاً إليه وحباً فيه..

ما سحَّت عينها بدمعة عند تلاوته، ولا رقَّ لها قلبٌ

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ٤٢٧) (٥٠٢٧).

عند الترنم به، ولا لان لها جلد عند قراءة آياته الباهرة ومعجزاته القاهرة!

فلا تكوني مثلها، فهي من تهمل عينها حزناً لما ترى في مسلسلات السوء من لقاء وفراق، وتلوّع واشتياق..

وهي من تهطل عبراتها عندما تسمع أغنيةً عاطفية تستنزف عواطفها ومشاعرها، وهي من تجود محاجرها دون حدود عندما تقرأ قصَّة غراميَّة بين عاشقين متيمين..

ولو سألتيها عن عظائم المسائل في العلم الشرعي فيما يخصُّ صحة عبادتها، وشرط قبول عملها، ومما لا يجوز لها الجهل به في دينها، لقالت لكِ في حيرة مرَّة: ها..ها.. لا أدري!

مع أنها معجم مفهرس، وأرشيف جامع لأخبار الممثلين والممثلات والمطربين والمطربات.. فهي تعلم أخبارهم، وتعرف أسرارهم، وتتابع ـ في نهم بالغ ـ وقائع حياتهم ومواقع أحداثهم..

وغدت كقدح السوء لا يمتلىء إلاَّ بكلِّ سوء!

قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الروم: ٧].

* تُضيعُ، وقتها، وتهدر عمرها فيما لا فائدة فيه، ولا طائل خير يعود من ورائه.

وغفلت أنَّ العمر ميدان السباق، ومضمار التنافس، ووعاء العمل، فكيف تجرأت تلك المحرومة على إهدار وقتها، وهو مادة عمرها وزمن بقائها؟!

والـوقــت أنفــس مــا عنيــت بحظـه
وأراه أسهــل مـــا عليـــك يضيـــعُ(١)

* تجلس الساعات الطوال أمامَ الشاشات تقلِّب القنوات، وتتـابـع الأفـلام والمسلسـلات، وتـلاحـق اللقـاءات والمقابلات، وتراقب المنوعات والممنوعات..

وماذا بعد ذلك؟!

وما الحصيلة مما رأت وسمعت..

---

(١) ابن هبيرة.

إيمانٌ يضعف، ومعاصي تتضاعف. .
شهوة تتقلب، ونزوة تتلهب. .
ميزانٌ عند الله يخف، وقلبٌ يصيبه المرض أو التلف.
لَّذة تذهب وأذى يبقى، متعةٌ ترحل ولوعةٌ تظل، أمل يفقد وألم يولد!

فأين هي عن قول ربها: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور: ٣١]

يا رامياً بسهام اللحظ مجتهداً
أنت القتيل بما ترمي، فلا تصب
وباعث الطرف يرتاد الشفاء له
احبس رسولك، لا يأتيك بالعطب

* تقف لساعات طويلة كالمسمار أمام المرآة، تُصفف شعرها، وتصبغ وجهها تجرِّب ذلك اللباس وتطرح الآخر، حتَّى تملَّها مرآتها وتشنؤها أدواتها. .

وليس في التزين مثلبةٌ ولا في التجمل متعبة، فالله تعالى

يقول: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزخرف: ١٨].

وإنما يكفي منه ما قلَّ ودلَّ ضمن ضوابط الشرع وموازين الدين،، ولكن المبالغة فيه سلبت الأوقات، وسرقت الساعات، وضاع العمر، وانصرم الدهر، والمحرومة ليس لديها خبر! والغريب؛ أنَّها إذا وقفت لدقائق معدودة لتؤدي صلاتها نقرتها نقر الغراب، واستعجلت فيها دون استشعار لمعانيها، أو تدبرٍ لما فيها، وكأنما هي في سباق مع الرفاق!

أو قامت بها، وهي كسولة في أدائها، غافلة عمَّا تتلوا فيها، متشاغلة بما حولها، فهي ثقيلة على قلبها، لا ينشرح بها الصدر، ولا يتلذذ بها القلب، ولا تستريح بها الروح. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦].

* تنحني كالعرجون القديم بين يدي مصففة الشعر ومزينة الوجه (الكوافيرة) جُلَّ النهار وطرفاً من الليل، وربما

فاتت لذلك الصلوات، وضاعت الذريات، وضاقت بالأزواج الحياة، وارتكبت من أجل ذلك كثيراً من المحرمات مثل النمص(١)، والوصل(٢) وتفليج الأسنان للحسن، والتشبه بالرجال، ومشاكلة الكافرات أو الفاسقات من المسلمات في ملبسهنَّ وشعورهنَّ وزينتهنَّ. ومشاكلة القالب دليل مشاكلة القلوب.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ **«من تشبه بقوم فهو منهم»**(٣).

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تتشبهوا باليهود ولا بالنصارى..»**(٤).

* ولاَّجةً خرَّاجةً من بيت إلى بيتٍ، ومن سوقٍ إلى

---

(١) وهو حلق أو نتف أو تقصير شعر الجفن.
(٢) وهو إطالة شعر الرأس بالوصل فيه كالباروكات.
(٣) صحيح سنن أبي داود(٢/ ٧٦١) (٣٤٠١).
(٤) صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٤٦) (٢١٦٨).

آخر، ومن مناسبة إلى مثلها. مشغولة ـ غاية الشغل! بمن تعرف من القريبات والصديقات.

ولو سألتيها عن أهل بيتها؛ أين هم؟ وفيما يقضون أوقاتهم؟ مع من يتحدثون؟ ومن يصاحبون؟ ما حاجاتهم العاطفية والعقلية والنفسية؟

بل كيف دينهم؟ ماذا يعتقدون؟ وهل يصلون؟ وماذا يقرؤون ويسمعون؟ وفيما ينظرون؟ لتمعَّر وجهها خجلا من سؤال لم يخطر لها يوماً على بال!

فالتربية عندها ترتكز على تلبية حاجات الجسد ومتطلبات البدن من مطعم ومشرب، وملبس ومسكن ومركب، أما العقل والقلب فلا تدري عنهما، ما غذاؤهما؟ وكيف يحيان ويموتان؟ وما وسائل تزكية النفس؟! وتهذيب الروح؟!

فلا تسأليها عما لا يعنيها فلا جواب لديها!

ليس اليتيم من انتهى أبواه من
همِّ الحياة وخلفاه ذليلاً

إن اليتيـــم هـــو الـــذي تلقـــى لـــه
أمـــاً تخلَّـــت أو أبـــاً مشغـــولاً[١]

* تجلس مجالس اللهو والسهو، والغفلة والزلة، والغيبة والنميمة، والقيل والقال، وكثرة الحديث والسؤال، مع فارغات عاطلات بطَّالات مثلها لا يُحسنَّ الاَّ السلام والكلام ومضغ الطعام، في مجالسٍ لا يُذكر الله تعالى فيها إلاَّ قليلاً.

عن ابي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما جلس قومٌ مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلاَّ كان عليهم ترةٌ، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم»**[٢]

وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من قومٍ يقومون مِن مجلس لا يذكرون الله فيه إلاَّ قاموا**

---

(١) أحمد شوقي.
(٢) صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٤٠) (٢٦٩١).

عن مثل جيفةِ حمار وكان لهم حسرة»(١)

ديدنهنَّ في مجالسهنَّ أخبار النساء وأسرار البيوتات، وأنواع الزينة والمفروشات، وأصناف الطعام وأذواق المأكولات، والحديث عن السفر والأسواق، والكلام عن هذا وهذه، وذاك وتلك، وهؤلاء وأولئك..

وأقلُّ الأحوال ضياعها في الحلال!

عن المغير بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله حرم عليكم عقوقَ الأمهات، ومنع وهاتِ، ووأد البناتِ، وكره لكم قيلَ وقالَ، وكثرةَ السُّؤال، وإضاعة المالِ»**(٢)

ولا تكاد تخلو مجالسهنَّ ـ وللأسف! من محرَّم ومأثم، كالغيبة وهي فاكهة مجالسهن ولذَّة ألسنتهنَّ ومتعة آذانهن.

* شُغلت بعيوب الناس ونسيت عيوبها، وتكلَّمت في نقائص غيرها وسكتت عن نقائصها، ورأت القذاة في عين

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٢٠) (٤٠٦٥).

(٢) صحيح البخاري (٧/ ٩٣) (٥٩٧٥).

أختها ولم ترى الجذع منصوباً في عينها، وذاك من الخذلان والحرمان!

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قيل للنبي ﷺ: يا رسول الله! إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار، وتفعل وتتصدق، وتؤذي جيرانها بلسانها، فقال رسول الله ﷺ: **«لا خير فيها، هي من أهل النار»**

قالوا: وفلانة تصلي المكتوبة وتصدق بأتور الإقط ولا تؤذي أحداً، قال رسول الله ﷺ: **«هي من أهل الجنة»**(١).

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قلت يا رسول الله! حسبك من صفية كذا وكذا، وقالت بيدها هكذا! كأنها تعني: قصيرة، فقال رسول الله ﷺ: **«لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته»**(٢)

يروي أنَّ رجلاً وقف أمام والدته التي كانت تؤذي

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب للمنذري ـ تحقيق الألباني ـ ص (٧٠) رقم (٨٨/ ١٢٠).

(٢) صحيح سنن الترمذي (٣/ ٩٢٣) (٤٠٨٠).

المسلمين بلسانها، وهي تجود بنفسها، وكانت تعاني من سكرات الموت وكرباته، وكأنما أطبقت جبال الدنيا على صدرها، وكأنها تتنفس من خرم أبرة، وكأنما السموات وقعت على الأرض، فأخذ يذكرها بالشهادة ليختم لها بخاتمة السعادة.

فعن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة**»[1]

فرفعت بصرها إليه، وقالت: والله يا بني إنها أثقل عليّ من الجبال الراسيات، وقد حيل بيني وبينها فلا أستطيع نطقها، ماتت ولم تقلها!»، وصدق الله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

* تفرُّ من الذكر، وتهرب من مجالس الخير، ويضيق

(١) صحيح سنن أبي داود (٢/ ٦٠٢) (٢٦٧٣).

صدرها بكل نصيحة مخلصة. تضيق عليها الأرض بما رحبت إذا ذُكِّرت بالله أو بشرعه ودينه.
لا تريد أن تسمع ممن يحذِّرها عاقبة تفريطها أو ينذرها سوء منقلبها..

فهي تحبُّ الغافلات، لأنها منهنَّ.
وتكره الصالحات لأنهنَّ يصادمن غرورها، ويعارضن شهواتها، ويحاربن نزواتها.. قد غدت أُذنها تلقف ما يُصبُّ فيها من الغناء الخليع الماجن الذي هو مزمار الشيطان، وبريد الزنا، وطريق الخنا، ومهاد الفاحشة..
قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٦﴾ ﴾ [لقمان: ٦].

* تسيء معاملة والديها، ولا تُحسن إليهما، بل تقسو عليهما، وتستخف بهما، وتستهزئ بفكرهما، وتسخر من رأيهما، وتخالف أمرهما، وتفعل نهيهما.
* عـن أبي بكـرة ـ رضي الله عنـه ـ قـال: قـال ﷺ:

«ألاأُنبئكُم بأكبر الكبائر؟» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: **«الإشراك بالله، وعقوقُ الوالدينِ»** وكان متّكئاً فجلسَ، فقال: **«ألا وقولُ الزُّور وشهادةُ الزُّور، ألا وقولُ الزُّور وشهادةُ الزُّور»**[١].

لا تقوم بخدمتهما إلاَّ كارهة لها، متشاغلة عنهما، متثاقلة لفعلهما، وإذا جاءت إليها صديقة عمرها ورفيقة دربها قامت إليها، وهشَّت لها، وبشَّت في وجهها، وهرعت لخدمتها، نشيطة النفس، منشرحة الصدر، متهللة الأسارير!

فأين هي عن أولى الناس بحسن رعايتها وطيب عنايتها؟!

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ: فقال يا رسول الله! من أحقُّ الناس بحسنِ صحابتي؟ قال: **«أُمُّكَ»** قال: ثُمَّ من؟ قال: **«أُمُّكَ»** قال: ثم من؟ قال: **«أُمُّكَ»** قال: ثم من؟ قال: **«أبوك»**[٢].

---

(١) صحيح البخاري (٧/ ٩٣) (٥٩٧٦).

(٢) صحيح البخاري (٧/ ٩١) (٥٩٧١).

* يلـمُّ بهـا الألم، ويمسُّهـا السقـم، وتقـع عليهـا البـلايـا ـ ببعض الخطـايـا ـ فتبحـث عـن سبيـل النجـاة والخـلاص على أيـدي السحـرة والـدجـالين، والكهنـة والمشعوذين، الذين يخادعونها، ويلعبون بها، ويستخفُّون بعقلها، ويرجفون في قلبها، فتلتمس الشفاء لديهم، والعـافيـة عنـدهـم، ومـا علمـت أنهـا خسرت دينهـا، وأسخطت ربّها، وأغضبت خالقها.

قال رسول الله ﷺ: **«من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين يوماً»**[1].

وقال ﷺ: **«من أتى كاهنا فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد»**.[2]

فأيُّ ربح يساوي هذه الخسارة؟! وأيُّ غنيمة تعادل هذه المصيبة؟!

---

(١) صحيح مسلم (٤/١٣٩٧) (٢٢٣٠) عن بعض أزواج النبي ﷺ.
(٢) صحيح سنن أبي داود (٢/٧٣٨) (٣٣٠٤).

فلا تكوني مثلها!

فإنها ستندم ـ يوم لا ينفعها الندم ـ على العمر الضائع، والاهتمام الفارغ، والحياة الخاملة. ستتحسَّر على كلِّ لحظة مرَّت عليها لم تُقربها من خالقها..

سترجو الرجوع إلى الحياة الفانية مرّة ثانية لتعمر العمر بمعالي الأمور، ومحاسن الحسنات، وبالباقيات الصالحات.. ولكن، لا رجوع من بعد الممات لهذه الحياة، وإنما بعثٌ ونشور، بين يدي ملك الملوك، ثم الحساب على ما اجترحت من سيئات وما أصابت من حسنات.. قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٩ـ١٠٠].

فالآن.. الآن.. قبل فوات الأوان!

والسَّاعةَ.. السَّاعة.. قبل وقوع السَّاعة!

فتكون الغفلة والإَضاعة هي البضاعة.. فيا بئس البضاعة!

إذا أنـت لم تـزرع وأبصرت حـاصـداً
نـدِمـت على التفـريـط في زمـن البـذر
فمـا لـك يـوم الحشر شيء سـوى الـذي
تـزوَّدتـه يـوم الحسـاب إلى الحشر

*** أختاه!**

راجعي هذه التصرفات، وتذكري تلك الأفعال، ثم حاسبي نفسك قبل أن تحاسبي من ربِّك، فإن كنتِ بريئة منها، سالمةً من الوقوع فيها، فاحمدي الله تعالى على السَّلامة، واسأليه الثبات على الحقِّ، والمزيد من الفضل.

وإن كنتِ وقعتِ فيما قرأتِ، فالتوبةُ بابها مفتوحٌ، وعطاء الله يغدو ويروح، والتائبُ من الذنب كمن لا ذنب

له، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

والحمد لله ربِّ العالمين.

وكتبه

عبد اللطيف بن هاجس الغامدي

غفر الله له ولطف به وتجاوز عنه

جدة (٢١٤٦٨)

ص.ب (٣٤٤١٦)